من كتاب الطفولة

أبداً أحن الى صبايا الحلو . . . بالأمس البعيد
أبداً أحنّ الى الطفولة ذاكراً عيشي السعيد
أيام كنت اعيش في دار من الطين الصليد
أحيا وأمي ، والدجاج .. وكلبنا المدعو شديد
وأراني البيضاء تجفل إن دوى صوت بعيد
فتغيب بين جحورها .. لتطل في حذر شديد
والشاة تمشي في خلال الدار ، في خطو وئيد
و « الزير » .. في ركن يقوم على قوائم من حديد
.. فإذا جلسنا للعشاء .. وإن « صحن » وحيد
القطة السوداء تخطف من يدي لقَم الثريد
فأصيح فيها زاجراً !.. وأظل اسرف في الوعيد
فتقول أمي كم تثور !!.. وكن رحيماً .. يا عنيد
.. حتى إذا فرغ العشاء ، .. وغلّف الصمت الوجود
آويت والأم الرؤوم الى سرير من جريد
لأظل يقظاناً ، أجيل الطرف في الليل الشديد
نهباً لأفكاري الوديئة ، تزحم الصمت المديد
. . فكأن ارض « القاعة » السوداء تعلو او تميد
. . وكأن من أقصى اليمين . . يقوم شيطان مريد
في رأسه عينان قد بدتا كمحمرّ الحديد . .
حتى يداهمني النعاس ، ويغلب النوم السهود .
لأفيق والفجر الجديد يضيء آفاق الوجود
فأهبّ موفور النشاط ، يرودني امل جديد ! !

★

ايام كان ابي يجيء ، بما احب وما اريد
قطعٍ من الحلوى الصغيرة ، طعمها حلو فريد
يحشو بها جيبي .. ويضحك إن أشرت الى المزيد
ويقول إقنع بالقليل ، يزِدْ لنا رب مجيد . .
او ذلك « المليم » آخذه . . فيغمرني السعود
. . قد كان رغم الفقر والاملاق ، والبؤس الشديد
يسعى الى تحقيق ما ارجو . . ليجعلني سعيد . .

★

انا لست أنسى مشية الخيلاء في الثوب الجديد . .
انا لست أنسى فرحة الاطفال بالعيد السعيد . .
أنا لست أنسى رحلة الاسبوع للسوق « البعيد »
أنا لست أنسى منظر « الطوّاف » يأتي بالبريد !
أنا لست أنسى منظر « الفيضان » يجتاح السدود !
أو منظر « الدوار » يزخر بالعشائر والوفود !
و « العمدة » المغرور بينهمو .. « كهارون الرشيد » !
.. أو مجلس الآباء ، بعد الكد والجهد الجهيد !
فوق « المصاطب » يسمرون فلا تكلف أو قيود
ويثرثرون بما أصاب الأرض من قحط شديد
عن قلة المحصول ، والانتاج .. عن هذا الركود
عن موعد « الصراف » .. إذ يأتي لتحصيل النقود

★

قد كان ذلك كله .. بالأمس .. بالأمس البعيد
أيام كانت للحياة نضارة الزهر النضيد
والناس يشملها الوئام الحلو ، والسلم الوطيد
لا يعرفون البغض ، والحقد الدفين ، ولا الجحود

★

. . واليوم أحيا بالمدينة تائهاً بين الحشود
في زحمة المدنية الزعناء . . تعتصر الجهود
ما بين مجتمع يسير على هواه بلا قيود
يحيا بلا مثل ، ولا هدف ، ومعظمه قرود
وأرى المظاهر قد هوت بالناس للعيش الكنود
وأرى ابن آدم .. ذلك الانسان .. في ثوب الفهود
يهوى على حق الضعيف ، بمخلب البغي العنيد
فتعج في صدري الدما .. ويضيق في عيني الوجود
وأود لو رجع الزمان القهقرى ... حتى أعود . .
.. طفلاً تميزه البراءة .. والطهارة .. والسعود
أحيا وأمي والدجاج .. وكلبنا المدعو « شديد »
في بيتنا ، في « نجعنا » المحبوب في اقصى « الصعيد »

القاهرة — **محمد مهران السيد**

« من أسرة الفجر الجديد »